

المسلمون أمة واحدة

قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾
(الأنبياء: ٩٢).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون﴾
(المؤمنون: ٥٢).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران: ١٠٣).

وقال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ (الأنفال: ٦٣).

وقال تعالى في شأن أعدى أعداء الإسلام: ﴿نَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾
(الحشر: ١٤٠).

والنصوص القرآنية في هذا الموضوع كثيرة: أرجئ الحديث عنها لتكتب بين يدي كل نقطة علي حدة.

هذا ويتدبر هذه النصوص المتعددة السابقة والتي ستكتب بين يدي نقاط البحث يتضح أن البحث يشتمل علي النقاط التالية.

(١) - الشيطان وجنده يكيّدون للأمة الإسلامية لتفريق وحدتها حتي لا تكون خير أمة أخرجت للناس.

(٢) - الأخوة الإسلامية هي حصن المسلمين ضد أعدائهم.

(٣) - القرآن الكريم رسم لنا منهج بناء الأخوة الإسلامية.

(٤) - القرآن الكريم يعالج ما يحدث من شقاق بين المسلمين.

(٥) - القرآن الكريم يسد كل ثغرة يمكن أن تتسلل منها العداوة والشقاق بين المسلمين.

(٦) - القرآن الكريم يأمر بالإصلاح بين الطوائف المتخاصمة من المسلمين. ولو بالقتال.

(٧) - خاتمة للبحث .

،إليك أخي المسلم الحديث عن هذه النقاط . من كتاب الله . وسنة حبيبهِ
ومصطفاه شارحة القرآن ومبنيته .

(١) - الشيطان وجنده يكيدون للأمة الإسلامية لتفريق وحدتها . حتى لا تظهر
للوجود خير أمة أخرجت للناس .

تشكو أمتنا المسلمة في يومنا الحاضر تكالب أعدائها عليها . واجتماعهم مهما
اختلفت مشاربهم وتباينت مقاصدهم على النيل منها .

يختلفون في كل شيء إلا في الكيد لها . ذلك أن قيادة أعداء هذه الأمة المسلمة
بيد الشيطان . وهو لا يفتأ يكيد لها ويتربص بها . قال تعالى : ﴿ إن الشيطان لكم عدو
فاتخذوه عدوا ﴾ (فاطر : ٦٠) . وقال تعالى : ﴿ أتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم
لكم عدو بنس للظالمين بدلا ﴾ (الكهف : ٥٠) .

ولا يغيب عنا موقفه يوم اجتماع المشركين في دار الندوة ليكيدوا للإسلام في
شخص النبي ﷺ . وحضوره هذا الاجتماع في صورة بشرية .

ولا يزال يفند الرأي تلو الرأي ذاكرا عيوب كل رأي . حتى سمع رأي أبي جهل
عندما قال : إن لي رأيا فيه ما أراكم وقعتم عليه . هو أن نختار من كل قبيلة شابا جلدا
وسطا متينا ثم يضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف
على حرب جميعهم فيرضون بالدية فندفعها لهم وهنا صفق إبليس عليه لعنة الله وقال :
هذا هو الرأي .

راجع ابن هشام ج ٢ ص ٩٣ وما بعدها بتصرف .

وأراه في أيامنا هذه يحضر اجتماعات القيادات العليا في الشرق والغرب يوسوس
لقيادة هذه الأمم بكل ما يضر المسلمين ويذيقهم الذل والهوان وهل هناك إذلال للأمة
الإسلامية أبلغ من موقف قيادات الأمم في الشرق والغرب من موضوع هجرة اليهود
السوفيت لإسرائيل .

وموضوع امتلاك بعض الدول الإسلامية لشيء من الأسلحة الفتاكة فتضيق هذه
الأمم بامتلاك بعض الدول الإسلامية لتلك الأسلحة ولا تضيق بامتلاك إسرائيل

لأضعاف هذه الأسلحة الفتاكة.

وكذلك لا يغيب عنا موقف إبليس يوم بيعة العقبة الثانية. عندما صرخ عقب البيعة قائلاً لعنه الله: هل لكم في منعم والصباء معه قد اجتمعوا علي حربكم ؟ ويقصد بقوله: منعم: سيدنا محمد ﷺ. ويقصد بالصباء: من أسلم من الانصار.

ويقول ﷺ عقب ذلك: هذا أرب العقبة هذا ابن أرب استمع عدو الله أما والله لأفرغن لك ابن هشام حـ ٣ ص ٥٦.

وله موقف ثالث تبدى فيه في صورة بشرية هي صورة سراقه بن مالك ليشد أزر المشركين يوم بدر. وكان سراقه من أشراف بني كنانة. فصرخ إبليس وهو في صورة سراقه قائلاً للمشركين: إني جار لكم. وكان المشركون قد تخوفوا على مكة من بني بكر من كنانة.

غير أن الخبيث لما شاهد الملائكة تنزلت لنصر المؤمنين نكص على عقبيه وقال :

﴿ إني بري منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب ﴾ (الأنفال: ٤٨).

وله موقف رابع تبجح فيه كذلك يوم أحد عندما صرخ. وقد مالت كفة المسلمين بعد إذ ترك الرماة أماكنهم مخالفين توصية الرسول ﷺ. وهنا عملت فيهم سيوف المشركين عملها وانفرط عقد المسلمين يصرخ آنذاك اللعين: ألا إن محمداً قد قتل. يريد بذلك أن يفت في عضد المسلمين. وقد حصل بعض ما أراد .

من كل هذا نرى مدى كيد اللعين لهذه الأمة من وقت مبكر. فضلاً عن إثبات رب العزة عدوانه لنا بقوله: « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا».

وقلوب البشر جميعاً لا تزال بين لمة الملك ولمة الشيطان. إن لم تكن مع لمة الملك فهي مع لمة الشيطان.

قال ﷺ: « للقلب لَمَتَانِ لَمَةٌ مِنَ الْمَلِكِ وَلَمَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ فَلِمَةَ الْمَلِكِ يُعَادُ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقُ بِالْحَقِّ وَلِمَةَ الشَّيْطَانِ يُعَادُ بِالْشَّرِّ وَتَكْذِيبُ بِالْحَقِّ».

(٢) - الأخوة الإسلامية هي حصن المسلمين ضد أعدائهم

قال تعالى: ﴿إِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾

وقال تعالى: ﴿وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ﴾.

أخي أيها المسلم أما وقد جمع الشيطان حزبه على اختلاف بين طوائف الشيطان شديد وصراع بينهم مديد. ودم مهراق. أقول: أما وقد جمعهم علي حربنا. والكيد لنا فإن رب العالمين قد أخذ بيدنا إلى الطريق السوي الذي نستطيع به أن نرد عنا كيد الأعداء بقيادة الشيطان.

ذلك الطريق هو الأخوة الإسلامية بقيادة المصطفى الحبيب ﷺ مستشعرين العبودية الصادقة لله رب العالمين. قال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿إِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾.

ويقول ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» رواه الشيخان كما قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» رواه الإمام أحمد. والإمام مسلم.

ويطبق ﷺ ما دعا إليه عقب هجرته إلى المدينة المنورة فيؤاخي بين المهاجرين والأنصار فيضم الواحد من المهاجرين إلى آخر من الأنصار ويقول: «تأخيا في الله أخوين أخوين».

يا لها من خطة ربانية رائعة في سبيل بناء صرح الإسلام أخوة في الله واجتماع علي الله لا أخوة في النسب. فالأنساب وحدها لا تجمع القلوب. بل قد يكون النسب وحده سبيل فرقة. وداعية خلاف. ما لم يكن معه إخاء في الله.

أو أخوة مغنم تجمع الظاهر من الأجساد. والقلوب شتي سرعان ما تختلف حول المغنم ولذا يمن الحق تبارك وتعالى على حبيبه بنعمة الأخوة الإسلامية إشادة بها وبياناً لفضلها. وتوكيداً للحرص عليها. يقول تعالى:

﴿وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ﴾.

نعم إن التآلف بين القلوب المتنافرة. التي طال نفاها لأمر معجز ليس في إمكان البشر .
وإنما هو من جزيل نعم الخالق تبارك وتعالى .

(٣) - القرآن يرسم لنا منهج الأخوة الإسلامية

يقول تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ (آل عمران: ١٠٣).

فبحثنا الإسلام على الوحدة ويحذرننا من الفرقة . فالقوة في الوحدة . والضعف في
الفرقة . والرسول ﷺ يذكرنا بذلك في قوله: « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه
بعضاً ».

ومما يؤكد الوحدة الإسلامية ويغذيها الجماعة التي حض عليها الإسلام في الصلوات
الخمس وأوجبها في صلاة الجمعة . ومن ثمرات الحج اجتماع المسلمين من أطراف
الأرض ليشهدوا منافع لهم .

يجتمعون في الصلاة متجهين إلى قبلة واحدة مهما اختلفت الديار وتباعدت الأقطار
وبعد إذ آخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والانصار . فشاد بذلك صرح الامة الإسلامية
نراه يحرص كل الحرص على تثبيت هذا الإخاء بصيانه مما يتهده . من نوازع الطبع .
وغلبة الشهوة وأنانية الفردة ووسوسة الشيطان من الإنس والجن . كما نراه يحرص على
رى هذا الإخاء في الله بشتي الوسائل . مستعينا ﷺ في الرِّي والصيانة معا بهدي الله
من قرآن وسنة كما سيتضح لنا ذلك الآن .

فالله تعالى يعلم من خلقه أنهم مهما أوتوا من تقوى . فلا يزال الشيطان يتربص بهم
وهو في صراع مرير معهم . وقد يصادف منهم غفلة فيغزو القلوب فيقعوا في الفرقة
والخلاف يشير إلى ذلك قوله سبحانه: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ (الاعراف: ٢٠١) .

فالمولى عز وجل يثبت للمتقين الاستبصار بعد التذكر . وهذا وذاك إنما كان بعد أن مسهم
طائف من الشيطان .

من أمثلة ذلك في الصفوة العليا من هذه الامة . أن يعير صحابي جليل صحابيا جليلا

بسواد أمه . في ثورة غضب . قاتلاً . يا ابن السوداء . ويصل الأمر للمصطفى ﷺ فيغضب . ويقول للصحابي المعتدي : أعيرته بأمه . إنك امرؤ فيك جاهلية ، ويكيي الصحابي المعتدي . ويعتذر لأخيه . ويضع خده علي الأرض ويقول له : طأ عُنُقِي ، ترضية له .

هنا في هذه القصة نلمس طائف الشيطان في خير القرون . ونلمس كذلك أثر التقوي وتذكر الصحابي الجليل واستبصاره . وسرعة اعتذاره لأخيه بصورة تسمح تماماً أثر اعتدائه عليه .

(٤) - القرآن الكريم يعالج ما يحدث من شقاق بين المسلمين

يعالج القرآن الكريم ما يحدث من شقاق بين المسلمين بصور شتي وتشريعات عديدة . يقول تعالى : ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ﴾ (فصلت: ٣٤-٣٦) .

فنري في هذه الآيات دعوة إلي العفو والمسامحة في مواجهة ثورة النفس من أخيك في الله حتي لا يستشري الشر بين المسلمين . وتلك بغية الشيطان اللعين .

والحكمة كل الحكمة في حالة اعتزاز أخيك عليك في غفلة منه عن حقوق الإخاء في الله أن تواجه اعتزازه بهوانك . وفي الحكمة : إذا عز أخوك فهن .

ونعم ما كان عليه سيدنا معاوية الصحابي الجليل من ذلك . إذ يقول : لو كانت بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت لأنهم إذا شدوا أرخيت وإذا أرخوا شددت » وهذا الذي أدعوك إليه من مقابلة عزة أخيك المؤمن بهوانك إنما هو هدي رب العالمين . فالله تعالى يقول : ﴿ أذلة علي المؤمنين أعزة علي الكافرين ﴾ (المائدة: ٥٤) .

ألا وإن مقابلة ثورة أخيك عليك واعتزازه باللين منك والرفق والحلم يطفئ جمره نفسه . أحوج ما يكون إلي ذلك منك .

فالغاضب المعتدي مريض قد وقع فريسة للشيطان فهو في حاجة إلي عون أخيه المعتدي عليه . ألا تري إلي رسول الله ﷺ يصور ذلك أبلغ تصوير فيقول : « الغضب جمره يلقىها الشيطان في جوف أحدكم ألا تروا إلى احمرار عينيه وانتفاخ أوداجه .

ولكن ربي يعلم من ضعف خلقه من البشر أن الجماهير العريضة من المسلمين لا تحتل هذا الأدب الإسلامي العالي. مع أنها بعيدة عما يفضيها. وفي حالة اعتدالها تؤمن بأنه أحكم وثاق يشد أفراد هذه الأمة. كما أشار إلى ذلك المصطفى ﷺ: إذا يقول: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً».

أقول: ولذلك لم يكلف الله الجماهير العريضة من المسلمين بهذا الأدب العالي ابتداءً وإنما استدرجهم المولى عز وجل إلى هذا الأدب الإسلامي العالى ألطف ما يكون الاستدراج. يقول سبحانه: ﴿وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به. ولئن صبرتم لهو خير الصابرين. واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولاتك في ضيق مما يمكرون. إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ (النحل: ١٢٦: ١٢٨).

فهو يخاطب الشائر المعتدى عليه بإثبات حقه في رد الاعتداء أولاً. ليمتص بذلك ثورة غضبه. ولكنه سبحانه وتعالى يشير إشارات خفية لأرجحية العفو.

فهو يعطي جواز رد الاعتداء. ولكن بشرط المثلية. والمثلية عند التحقيق متعذرة بل مستحيلة. إذ كيف تضبط المثلية في رد صفقة مثلاً؟ فهناك التفاوت في القوى. والتفاوت في الانفعال الذي يؤثر في اليد الضاربة. والتفاوت في التحمل بالنسبة للمضروب. وإن تعادلت القوي الضاربة. فصفعة تقتل. وصفعة تؤذي أشد الإيذاء. وثالثة ليس لها من الضرب إلا صورته.

ومن تلك الإشارات الخفية أيضاً لأرجحية العفو على رد الاعتداء تسمية رد الاعتداء اعتداءً في قوله سبحانه: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ وفي تلك التسمية تنفير من رد الاعتداء عند أولي الألباب ولا تلتفت لما يقال من أن ذلك مشاكلة. أو سمي بذلك لأنه يشبه الاعتداء في الصورة.

وعليه فعند التحقيق والتفطن لإشارات القرآن في هذا الموضوع يمتنع الحريص على دينه من استيفاء حقه.

ولكنه مع ذلك في حاجة إلى ما يشد أزره أمام كرامته المعتدى عليها فنجد في ختام الآية ما يأخذ بيده إلى ساحة العفو أسمح ما يكون العفو. إنه عدة كريمة من رب كريم مؤكدة بأوثق المؤكدات التي تغارفها البشر. عدة بخير غير محدود على صبر محدود يقول

سبحانه: ﴿ ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ .

وبحسب المعتدى عليه أن يدخل بعفوه عن المعتدي وصبره على أذاه أن يدخل بذلك في جملة الصابرين . وفيهم يقول رب العزة: ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ . إن قوما قد فقهوا عن الله يتلذذون بالأذى ينزل بهم إذ ينتهي بهم إلى مثل هذا المقام الكريم من الرب الكريم: ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ مع أن كل عمل آخر عملوه فهو ذو أجر محسوب .

هذا ولا ننس ما ختمت به الآيات من إشارة إلى مقام كريم هو مقام الإحسان . وبحسب صاحبه معية الله له . وهل مع معية الله إلا الخير كل الخير . يقول سبحانه: ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ .

ويشهد لخيرية معية الله لعبده قول الحبيب المصطفى ﷺ للصدیق يوم غار ثور في الهجرة وقد اشتد خوف الصديق على الرسالة والرسول: ﴿ يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ﴾ ويسجل القرآن الكريم هذا الموقف مؤكدا ما أشار إليه المصطفى ﷺ يقول تعالى: ﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا . فأنزل الله سكينة عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا ﴾ (التوبة : ٤٠) . هذا ومقام الإحسان فوق مقام الصبر .

ومن ثماره هنا أن تحسن إلى من إساء إليك . وتلك المرتبة صرحت بها آيات سورة فصلت قوله تعالى: ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ﴾ . ونعم ما أدبنا به القرآن .

فهل رأيت النار تطفأ بالنار؟ . إن رد السيئة بمثلها . هو عند التحقيق رد للنار بالنار وزيادة وقود للشر .

لا كما يزعم القائل:

والشر إن تلقه بالخير ضقت به ذرعا وإن تلقه بالشر ينحسم

بل الأمر كما قال الخالق وهو أعلم بمن خلق ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ﴾ ونعم ما يشمره هذا الصنيع - أن تحسن إلى من أساء إليك - إن الإحسان إلى من أساء إليك يشمر ما صرح به القرآن في قوله تعالى: ﴿ فإذا الذي بينك وبينه

عداوة كأنه ولي حميم ﴿

وهذا غاية ما يرجوه الإسلام صيانة للوحدة الإسلامية.

(٥) - القرآن الكريم يسد كل ثغرة يمكن أن تتسلل منها العداوة

والشقاق بين المسلمين

فينهى عن كل ما يجرح شعور المسلم ويؤذي إحساسه. فضلا عما يناله منه من أذى حسي فنقرأ في حفظ شعور المسلم. قول الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن. ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ﴿ (الحجرات: ١١، ١٢).

أيها الأخبة قد جمعت هاتان الآيتان ألوانا من الأدب الإسلامي العالي في حفظ شعور المسلم صيانة للأخوة الإسلامية.

ففيهما النهي عن السخرية من أخيك المسلم ظاهرة كانت السخرية أم خفية. وتخص بالذات لونا من السخرية. يشيع بين الناس وهو أكم للنفس ولا تستطيع له دفعا ذلك أن يعلق بالإنسان لقب لا حيلة له في دفعه. ويعرف به بين الناس. ويود الفرار منه ولكنه يستحي أن يصرح بذلك. إنه لقبه. غير أنه يتغاضى عنه. ويود التخلص منه وألا يعرف به وأن يقتصر في التعريف به على ما دونه من أسماء.

ولكن ناسا قد جف معين الذوق في نفوسهم يصرون على إحياء هذا اللقب البغيض إلى صاحبه. يودون بذلك إيذاء المشاعر محتمين بأنهم لم يأتوا بشئ جديد من عند أنفسهم وصدقوا في ذلك ولكنهم وقد صدقوا فقد أساءوا الأدب وقطعوا روابط الأخوة الإسلامية باستجابتهم لنوارع الهوى الدفين في السخرية بمن تربطه بهم أخوة الإسلام وعصوا بذلك رب العالمين إذ يقول: ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾.

هذا وفي الآيتين كذلك من أسباب صيانة الإخاء الإسلامي النهي عن الظن الآثم وهل يقع معظم الشر بين الأفراد والجماعات إلا نتيجة الظن الخاطئ يضحمه الشيطان وتنفع

فيه مردة الجن والإنس ويؤكد رسول الله ﷺ النهي عن اتباع الظن السيئ فيقول « أياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » رواه الشيخان.

وإذا كان الإسلام قد نهى عن الظن السيئ بالمسلم. صيانة للإخاء الإسلامي أن تدمره آثار الظن السيئ. فنجد الآيات كذلك تؤكد النهي عن أخبث ثمار الظن ألا وهو التجسس المقيت على أخيك المسلم. تتهجم على خلوته وتهتك ستره والله قد نهاك عن ذلك. فتعصى ربك. وتجرح أخاك. وتكشف ما أمر الله بستره تفعل ذلك كله غالبا لتحقيق من ظن آثم وقع في نفسك.

وهبك أخي المسلم تحققت من صدق ظنك وصدق الخبر الخير. ماذا أنت فاعل مع أخيك المسلم؟ إن الإسلام لا يعترف ببيئة عن طريق التجسس ولا تحصل آنذاك إلا على القطيعة لأخيك المسلم. وإضرار نار عداوته ولو أنك حفظت على أخيك ستره. ونفيت الظن السيئ بأخيك عن نفسك وعاملته بما أوصى به الإسلام. بالإحسان إليه. لكان في ذلك ما يستل سخيمته: إن كانت هنالك سخيمة. ويؤكد محبته إن لم تكن هنالك أسباب للبغضاء هذا ثم تنهي الآيات. حفاظا على الإخاء الإسلامي عن مرض يشع بين الناس ولا يدركون خطورته على الإخاء في الله.

ذلك المرض هو تفكهمهم في المجالس بالنهش في أعراض الآخرين ممن غاب عن المجلس. مستهلين ذلك. مدعين أنهم لم يصيبوه بأذى محسوس. فهم لم يضربوا له جسدا. ولم ينهبوا له مالا. وقد ضلوا في ذلك ضلالا كبيرا.

إنهم قد أكلوه ميتا. كما صرح بذلك الخالق جل وعلا. وقد آذوه بذلك أشد الإيذاء وتدفع الناس لذلك رغبة كامنة في النفوس. في الاستعلاء على الغير. مع عجز عن العلو المنشود. فلا أقل من العلو الموهوم. بإنزال الغير عن مكانته ولو لفترة وجيزة. هي فترة اجتماعهم على اغتيابه.

ولذلك لا تجدد الناس يغتابون إلا من يحسون فيه لونا من التفوق عليهم. يريدون بذلك أن يعيشوا فترة في أحلام اليقظة متفوقين على من أحسوا فيه تفوقا عليهم. حسدا من عند أنفسهم يصطلون بناره. قبل أن تنال من قصوده بها. عقوبة عجلها الله للحاسد. ولذا يقول بعض الحكماء مشيرا إلي ما يلقاه الحاسد من نار تضطرم بين جوانحه فتحرقه

أول ما تحرق يقول: « ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد . وذلك لما يري عليه من آثار
نفسية سيئة تؤذيه قبل أن تؤذي غيره .

ولو أن الناس فقهوا شرع ربهم . وأيقنوا أن الأمور كلها بيد الله وأنه وحده القابض
الباسط المعز المذل . يؤتي الملك من يشاء ويتزع الملك ممن يشاء . وأن ما يعطاه الناس إنما
يرجع بالدرجة الأولى إلى سابق مشيئته . قال تعالى مصرحا بذلك :

﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ﴾
(الزخرف: ٣٢) .

وذلك لحكمة عالية يدركها أولو الألباب . فيرضون عن الله ويرضي الله عنهم . وتصرح
الآية بتلك الحكمة فتقول: ﴿ ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ﴾ ثم تمسح الآية آثار هذا
التفاوت التي قد تعلق بالنفس وترك شيئا من عدم الاطمئنان فيبين المولي عز وجل هوان
الدنيا علي الله بقوله " ﴿ ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴾ ويهز المولي عز وجل المشاعر
هزا عميقا . مؤكدا هوان الدنيا علي الله . وخيرية ما عنده سبحانه بقوله: ﴿ وما أوتيتم
من شئ فمتاع الحياة الدنيا وزيتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون ﴾
(القصص: ٦٠) .

(٦) - القرآن الكريم يأمر المسلمين بالإصلاح بين المتخاصمين .

يقول تعالى: ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما علي
الأخري فقاتلوا التي تبغي حتي تفي إلي أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل
وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ (الحجرات: ٩) .

يأمر الإسلام المسلمين بالتدخل للإصلاح إذا حصل نزاع بين الأفراد أو الجماعات ولو
اقتضى الإصلاح بين طائفتين من المسلمين حمل السلاح حتي تفي الطائفة المعتدية
وترجع إلي الصواب . وتحافظ علي الأخوة الإسلامية .
....(وختاما)....

يا قوم إن الإسلام يختصر لنا الطريق لنصل إلي أكرم ما نستهدفه من غايات بأيسر
الوسائل .

وأيسر الوسائل هنا للحفاظ على الإخاء الإسلامي . وحاجتنا إليه ماسة . فضلا عن كون

الأخوة في الله عبادة لله رب العالمين.

أقول: أيسر الوسائل هنا للمحافظة على الأخوة في الله . لصيانة وحدة الأمة وقوتها وخاصة في وقت يترصد فيه أعداؤها بها للقضاء عليها.

أيسر الوسائل هنا نجدها وسائل سلبية هي . مجرد تروك . صبر على الأذى . وترك للسخرية من الغير . وبعد عن اللمز والتنايز بالألقاب . وإجتنبُ للظن السيئ وابتعاد عن التجسس والغيبة . فانظر أخي المسلم إلى لطف الله بعباده . لم يكلفنا شططا . ولم يرهقنا عسرا .

وهو إذ كلفنا يسيرا فإنما كلفنا ما يصلحنا . ثم يثينا عليه أجزل ما تكون الإثابة إثابة من أمره إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون .

ثم ألا ترى معي يا أخي المسلم أن الله وقد نهانا عما نهانا عنه مما ذكرته سابقا فقد نهى غيرنا أيضا أن ينالنا بهذه الألوان من الأذى .

وكما أمرنا بالصبر على أذى الغير فقد أمر غيرنا كذلك بالصبر على إيذائنا له . والأمر آنذاك سيكون إذا رَشِدَتْ هذه الأمة . وهي والحمد لله وفي محنتها اليوم أرشد الأمم إلى مكارم الاختلاق . وسليم الفطر وصحيح الاعتقاد وأهنا الأمم بالطمأنينة . والناس من حولها يغتالهم القلق .

حتى ظن الناس بنا فسادا في الإدراك . وفقدانا للإحساس . وقد جهلوا أن الأمر أمر طمأنينة هي أنفس آثار ذكر الله . وذكر الله في الذروة من العبادات في الإسلام . قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ .

أقول يا أخي المسلم: إن الأمر آنذاك سيكون إذا رَشِدَتْ هذه الأمة مسارعة بين المسلمين إلى أبواب الخير .

إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون . كما رأينا في قصة الصحابين اللذين عاب أحدهما صاحبه بسواد أمه في لحظة غضب فقد عادا سراعا إلى اصلاح ما بينهما . كل يسابق صاحبه . فالمعتدى عليه صبر أجمل الصبر . والمعتدى اعتذر أجمل ما يكون الاعتذار .

هذا والواقع يؤكد أن المسلم مهما كانت أخلاقه . إذا أساء إليك . وواجهت إساءته

بالإحسان إليه . من غير من ولا رهو . وإنما في أدب إسلامي عال . ترعى بذلك حق الأخوة الإسلامية .

أقول إن المسلم إذا أساء إلى أخيه المسلم . وأحسن إليه أخوه المسلم على هذا النحو لا بد أن يرجع المسئ عن غيه . وقد استشعر ما جناه في حق الأخوة الإسلامية ولا بد كذلك من أن يقابل الإحسان إليه بإحسان إليك . والمعروف إليه منك بمعروف إليك منه . قضى بذلك الخلاق العليم .

يقول المولى عز وجل : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ .

وهبه يا أخي لا يقابل إحسانك إليه بعد إساءته إليك بالإحسان إليك واشتد به لؤم الطبع . وغلبة الشهوة . فهو ليس للمعروف أهلا .

ألا ترى معي أنه من الأكرم لك أن تكون أنت للمعروف أهلا حدثني بعض الأجلة قائلا : لم يعد في الدنيا من يفعل الخير ابتغاء وجه الله فقلت له : كيف وأنت فيها ؟

يا أخي المسلم إذا عز المعروف يسدي إليك . فاصنعه أنت مع الغير . وكن الباذر لشجرة المعروف .

هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فالأجمل بنا أن نصنع المعروف ابتغاء وجه الله أولا وآخرا . ونستودعه عند من لا تضيع عنده الودائع .

إن المعروف بلفظة العصر هو العملة الصعبة تنفك حيث كنت . اقرأ في ذلك حديث الثلاثة الذين آوهم المبيت إلى غار فسقطت عليهم صخرة سدت عليهم باب الغار . وأيقنوا بالهلاك . فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله . بصالح أعمالكم . فدعوه بصالح أعمالهم فنجاهم الله عز وجل .

أخي المسلم هذا قليل من كثير مما شرعه الإسلام لنا حفاظا على الأخوة الإسلامية إذ هي الرباط الذي يضم المسلم إلى أخيه المسلم ليجعل من المسلمين أمة واحدة هي خير أمة أخرجت للناس . ولتكون حالهم كما وصفهم الحبيب المصطفى ﷺ في قوله : ﴿ مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا

اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى». .
أخي المسلم إلى هنا وقد أوجزت الحديث عما شرعه الإسلام لصيانة الأخوة
الإسلامية .

. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

الدكتور / الحسيني أبو فرحة
رئيس قسم التفسير جامعة الأزهر
وعميد كلية الدعوة الإسلامية
جامعة الأزهر سابقاً

الخاتمة

في هذا الكتاب مجموعة من فقه الإسلام في العبادات والمعاملات والاخلاق مستوحاة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وفقه الأئمة العظام في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

لا يستغنى عنها مسلم ولا مسلمة ليستتير بهديها في عقيدته وعباداته ومعاملاته مع الناس ليسعد بها في دنياه وفي قبره .

نعم في قبره . فالناس جميعا أحياء في قبورهم كما قال ﷺ القبر روضه من رياض الجنة أو حفره من حفر النار .

وليسعد بها في الحياة الثانية عند قيام الناس من القبور في جنه عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين وهذه الثقافة الإسلامية تضيء الطريق للمسلم والمسلمة للعمل للدين والدنيا معا امتثالاً لأمر الله عز وجل: «وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا» .

وكما علمنا الله أن نسأله قائلين : «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» .

فأقبل أخى المسلم وأقبلى اختى المسلمة علي دراسة هذه الخلاصات الموجزة في ثقافة المسلم طلباً لسعادة الدور الثلاثة الدار الدنيا والدار الآخرة والحياة البرزخية وهى حياة القبور بين الدنيا والآخرة .

نفعنى الله وإياك أيها القارئ وأيتها القارئة بما نقرأ وأعاننا على العمل به انه سميع قريب مجيب .

والله أعلم ؟؟؟؟